رابعاً ـ السلاح النووي والميزان

لا يمكن لأية دراسة خاصة بالميزان العسكري العربي ـ الاسرائيلي ان تهمل العامل النووي وأثره في الميزان. وهو عامل لا يزال، حتى اليوم، قاصراً على الكفة الاسرائيلية دون العربية. وبالرغم من ان اسرائيل لم تعلن، بعد، عن حيازتها السلاح النووي، فثمة تأكيدات متواصلة على ان اسرائيل تملك سلاحاً نووياً، وان لديها كمية من القنابل النووية تتراوح بين مئة ومئتين[٢١]، وانها لا تعلن عن امتلاكها هذا السلاح لسببين رئيسين: أولهما، اخراج السلاح النووي من أية عملية لنزع السلاح النووي أو أسلحة التدمير الشامل في منطقة الشرق الاوسط. وثانيهما، ارهاب العرب بسلاح رادع خفي تُشهره اسرائيل في الوقت المناسب، أي حين الوصول الى عتبة الخطر التي لا بدّ عندها من استخدام السلاح النووي.

وهناك مراجع أخرى تعطي تقديرات مغايرة، كمثل ذلك الكتاب الاميركي الذي أُصدر في العام ١٩٩١، وقال فيه مؤلفه ان ترسانة اسرائيل من القنابل النووية أوسع وأكثر تقدماً من التقديرات السائدة[٢٢]. وقدّر مؤلف الكتاب ان لدى اسرائيل «المئات» من الرؤوس النيوترونية محدودة الفعالية، وان كثيراً منها مصنوع على شكل قذائف مدفعية وألغام أرضية، فضلاً عن القنابل الهيدروجينية. في حين ان بعض المسؤولين الاميركيين خلصوا الى ان ترسانة اسرائيل النووية أقل من ذلك، فهي لا تتعدى ٥٠ ـ ٦٠ رأساً[٢٣].

وليس لنا الّا ان نأخذ هذه المعلومات ـ ومصدرها مراكز بحوث ودراسات استراتيجية وعسكرية وتصريحات وتعليقات سياسية منشورة في أوروبا واميركا ـ مأخذ الجد، ونفترض وجود السلاح النووي لدى اسرائيل. وثمة اعتراض على هذا المنحى، يستند الى حرب العام ١٩٧٣، ومفاده ان اسرائيل لم تستخدم سلاحها النووي، ولم تهدّد باستخدامه حينما تعرض أمنها لخطر شديد. وفي الرد على هذا الاعتراض، يمكن القول ان ذروة الخطر التي بلغتها اسرائيل في حرب العام ١٩٧٣ لم تصل الى العتبة التي يصبح عندها استخدام السلاح النووي حتمياً، كما أن التزام الولايات المتحدة الاميركية انقاذ اسرائيل من المأزق الذي وضعها فيه الهجوم المصري ـ السوري أخرج السلاح النووي من إطار حتمية الاستخدام.

ويستند أنصار حيازة اسرائيل للسلاح النووي، سواء من أهل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، أو من الصهيونيين المظاهرين للتوجه النووي الاسرائيلي، الى حجة قوامها قلق اسرائيل من الفارق الكمي، البشري والسلاحي التقليدي، بينها وبين العرب. فمن المؤكد ان هناك حدّاً اذا بلغته اسرائيل في تسلّحها فقد بلغت حد الاشباع الذي لا مزيد عليه. وفي هذا المجال، يستطيع العرب ـ من الناحية النظرية على الاقل ـ ان يكون حدّ تشبعهم بالسلاح فائقاً على الحدّ الاسرائيلي بدرجات كبيرة. ومن هنا، تنطلق الحجة التي أشرنا اليها، وبخاصة ان حرب العام ١٩٧٣ وحرب الخليج (١٩٩٠ ـ ١٩٩١) دعمتا هذه الحجة بالوقائع.

ثمة حجة ثانية تتذرع اسرائيل بها، مفادها ان الاعتماد على الولايات المتحدة الاميركية في حماية أمن اسرائيل سياسياً وعسكرياً اعتماداً مطلقاً قد يخضع لبعض المتغيّرات التي تضعف درجة ذلك الاعتماد. ولذا، فان الاعتماد على الذات هو الملاذ الاخير الذي قد تواجهه اسرائيل في ظرف ما من الظروف. وهنا يبدو السلاح النووي الأداة المثلى في الاعتماد على الذات.